Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ٤، شتاء ١٤٤٠هـ
صفحة ٥٧٩ – ٥٩٨

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

استدعاء التراث التاريخي- الديني في رواية "قاتل حمزة" الإسلامية

سيدة اكرم رخشنده نيا*

أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كيلان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٤/١٥؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/١١/٣)

الملخّص

استدعى نجيب الكيلاني ـ الروائي المصري المعاصر ـ التاريخَ واستلهمه ليقدِّم النماذج الإنسانية المشرفة من الحضارة العربية، ويرصد جهاد الآباء في شتى جوانب الحياة، دفاعاً عن الدّين وسعياً لتأسيس مجد غير مسبوق، وفي بعض الأحيان كان يستدعي التاريخ ليعالج من خلاله قضايا راهنة أصابت الأمَّة بالإحباط واليأس، ويوقظ به الأمل في نفوس الأجيال الجديدة عن طريق إحياء الهمَّة وبعث العزيمة والإصرار، وفي كل الأحوال فإنَّ استلهام التاريخ في الرّواية عند "نجيب الكيلاني"، كان إبرازاً لمعطيات الإسلام العظمية، وإمكاناته الهائلة في تحويل الإنسان ، ويمكن أن نجد عدداً كبيراً من رواياته التي عبَّرت عن ذلك. ومن رواياته الإسلامية قاتل حمزة، وهي رواية تاريخية وتحكي من خلال شخصية وحشي بن حرب ذلك العبد الحبشي انعكاس أحداث السيرة النبوية منذ غزوة «بدر» حتى وفاة وحشي في عام ٢٥هـ، ويدرس المقال هذه الرواية دراسة تاريخية ودينية مستفيدا للمنهج الوصفي- التحليلي ومن نتائج الدراسة انطباق التراث في هذه الرواية مع أفكار الكيلاني المعاصرة والإنسان المعاصر على الإطلاق منها: طلب الحرية والشعور بالاغتراب وضلالة طريق المساومة أمام المستعمرين.

الكلمات الرئيسة

الرواية الإسلامية، قاتل حمزة، نجيب الكيلاني.

---

* الكاتب المسؤول
Email: rakhshandeh1982@yahoo.com

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

إن الأدب العربي المعاصر شعرا ونثرا عرف صورة من علاقته بالتراث لم يسبق له أن مر بها عبر تاريخه الطويل، وهذه الصورة هي ما يمكن أن ننعته بتوظيف التراث؛ أي استخدام معطياته استخداما فنيا له أبعاد دلالية، وتوظيفها رمزيا لتحمل الرؤى المعاصرة للتجربة الأدبية، بحيث يمزج الأديب معطيات التراث بملامح معاناته الخاصة، فتغدو هذه المعطيات تراثية معاصرة في الآن ذاته، توحي معبرة عن أشد هموم الأديب ومعاناته المعاصرة، في الوقت الذي تحافظ فيه على كل أصالة التراث وعراقته، وبهذا تغدو كل العناصر التراثية خيوطا أصيلة وأصلية في نسيج الرؤية الأدبية للأديب المعاصر وليست عنصرا دخيلا أو مقحما أو مسلطا من دون سلطان، وعلى هذا الأساس تغدو العلاقة بين الأديب والتراث علاقة أكثر ثراء وعمقا؛ لأنها قائمة على تبادل العطاء؛ أي بقدر ما يأخذ يعطي، وبهذا يخدم ويغني أحدهما الآخر.

لأن الرواية كعمل فني مكتمل البناء والاستقلال عما سواه من الفنون والعلوم الأخرى هو الذي قام باستدعاء التاريخ ليس من أجل التأريخ ـ فحسب ـ لتغدو الرواية تأريخا كما علم التأريخ سواء بسواء، وإنما هو استدعاء من نوع آخر وأضف إلى ذلك أن الروائي له حق التلاعب في الأحداث التاريخية التي يستدعيها بما تمليه عليه الجوانب الفنية وطبيعة المرحلة، بخلاف الرواية التاريخية التي لا يمكنها القفز على التسلسل الزمني ولأن المقصود من توظيف التراث في الرواية هو توليد دلالات جديدة في التجربة الروائية وإعادة خلق وإبداع فقد جاءت الدراسة لتتعرف مستوى توظيف التراث لدى الكاتب؛ ورجوع الروائي المعاصر بشكل عام إلى التراث أملته عليه ضرورات ومؤثرات فنية تركت ظلالها عليه مما حدا به إلى هذا التوجه في استلهام التراث. ونحن في هذا المقال ندرس كيفية استخدام التراث في رواية "قاتل حمزة" لنجيب الكيلاني ونجيب عن الأسئلة التالية:

أسئلة البحث:

- لماذا استرفد الكيلاني التراث؟
- ما هو مدى انطباق التراث في هذه الرواية مع أفكار الكيلاني المعاصرة؟

www.SID.ir

Archive of SID

الفرضيات:

– الهدف عن استخدام التراث في هذه الرواية ليس استدعاء ورواية التاريخ الإسلامي بل يريد الكاتب انطباق أفكاره المعاصرة مع التراث الإسلامي.

– قدنجح الكاتب في هذا الانطباق؛ بحيث الفكر الأساس في هذه الرواية هو الإشارة إلى القضايا المعاصرة الهامة كالشعور بالغربة وطلب الحرية والإشارة ببطلان طريق استسلام البلدان الإسلامية المعاصرة أمام المستكبرين.

خلفية البحث:

هناك بحوث ودراسات مختلفة حول التراث وخاصة التراث الديني والتاريخي في الآثار الشعرية والنثرية المختلفة عند الشعراء والكتاب المختلفين؛ منها كتاب:توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة لمحمد وتار الذي لم يتطرق الكاتب فيه لرواية قاتل حمزة ولكن ما يهمنا هو نجيب الكيلاني الذي كتب عنه كثيرا؛ منها:مجلة الأدب الإسلامي التي تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي في عدد خاص عن نجيب الكيلاني؛ العددان التاسع والعاشر وفي سنة ١٩٩٦م انتشرت فيها حوالي أربعين مقالة حول الكيلاني وخاصة مقالة (دور السرد في البناء الفني في رواية "قاتل حمزة") لمحمد علي داود التي تخص برواية قاتل حمزة ولم تشر إلى التراث التاريخي والديني في قاتل حمزة وهناك عدة مقالات مختلفة أخرى حول التراث ولكن دراسة التراث في رواية قاتل حمزة بحث جديدٌ في هذه المقالة.

التراث لغة واصطلاحا

لغة

الأصل في كلمة تراث heritage ورث، وتدل مادة "ورث" في معاجم اللغة العربية على "المال الذي يورثه الأب لأبنائه" (ابن منظور، مادة ورث). واستخدم القرآن الكريم كلمة "تراث" بالمعنى نفسه الذي ورد في معاجم اللغة، أي المال: ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا**﴾ (الفجر/ ١٩). ولم تستخدم كلمة تراث بالمعنى الاصطلاحي إلا في العصر الحديث، حيث يتباين مفهوم التراث في الثقافة العربية المعاصرة من باحث إلى آخر، تبعاً لاختلاف إيديولوجيا الباحثين وتعدد مواقفهم (رياض وتار، ٢٠٠٢: ١٩).

www.SID.ir

Archive of SID

اصطلاحا

حدود التراث ومقوماته: إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي، فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد هذا الماضي، فبعضهم يرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، ويعرف التراث على هذا الأساس بأنه «كل ما ورثناه تاريخياً» (جدعان، ١٩٨٥: ١٦). وبأنه «كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة» (حنفي، ١٩٨١: ١١) وأما بعض الباحثين فيرى أن التراث «هو ما جاءنا من الماضي البعيد والقريب أيضاً» (عابد الجابري، ١٩٩١: ٤٥).

واختلف الباحثون حول تحديد مقومات التراث، كما اختلفوا حول تحديد الفترة الزمنية التي ينتمي إليها، فالدكتور محمد عابد الجابري يعرِّف التراث بأنه «الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية: العقيدة، الشريعة، واللغة والأدب والفن، والكلام، والفلسفة، والتصوف» (عابد الجابري، ١٩٩١: ٣٠). أما الدكتور فهمي جدعان فيوسع مفهوم التراث ليضم إلى الجانب الفكري الجانبين الاجتماعي كالعادات والتقاليد...، والمادي، كالعمران (جدعان، ١٩٨٥: ١٨).

«يعد التراث بمصادرة المتنوعة مورداً خصباً، ومعيناً دائم التدفق بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير؛ لما يحويه من فكر إنساني، وقيم فنية خالدة، ومبادئ إنسانية حية؛ لأن عناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، وعلى التأثير في نفوس الجماهير وعواطفهم، ما ليس لأي معطيات أخرى يستغلها الشاعر، حيث تعيش هذه المعطيات التراثية في أعماق الناس، تحف بها هالة من القداسة والإكبار؛ لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي» (عشري زايد، ١٩٩٥ أ: ١٣٧).

«إن تعامل الشاعر مع التراث لا يعني نقله كما هو، أو إعادة صياغته أو تقليده؛ لأن مثل هذا العمل لا قيمة له، إنه يذكّر فقط بالماضي، ولا يقدم أي حلول للمشكلات المعاصرة. وإنما التعامل الحقيقي مع التراث يتمثل في استخدام معطياته وعناصره «استخداماً فنيا إيحائياً وتوظيفها رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية، بحيث يسقط على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة، فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية معاصرة» (عشري زايد، ١٩٩٥ ب: ٢٠٤). وفي إطار هذا التعامل الإيجابي مع التراث، تأتي هذه الدراسة التي تتوقف عند تجربة أحد الأدباء المعاصرين الذين كانوا على صلة وثيقة بتراثهم، فأفادوا منه كثيراً في إغناء أدبهم، سواء على المستوى الفكري أو المستوى الفني، وهو الأديب نجيب الكيلاني.

www.SID.ir

Archive of SID

نبذة عن رواية قاتل حمزة

تمثل رواية «قاتل حمزة» للكاتب الإسلامي نجيب الكيلاني التوازن بين الفن والتاريخ، وتحكي من خلال شخصية وحشي بن حرب ذلك العبد الحبشي انعكاس أحداث السيرة النبوية منذ غزوة «بدر» حتى وفاة وحشي في عام ٢٥هـ.

تتكون الرواية من فصول مرقمة تبلغ ثلاثين فصلاً، كل فصل يمهد للآخر، ويسهم في تكوين البناء العام للرواية، وإن كانت أهمية البناء تبدأ من عتبته، حيث يقدم الفصل الأول عقدة الأحداث من خلال العبد الحبشي وحشي بن حرب الذي يتوق إلى الحرية بأي ثمن، ولو كان هذا الثمن هو الدم، دم الشرفاء أو دم الأشرار، ولذا يضطرم قلبه بالعواصف والأحقاد ويقبل ما يغريه به سيده جبير بن مطعم ليقتل حمزة بن عبدالمطلب، نظير حصوله على حريته وانضمامه إلى نادي السادة الذين لن يقبلوا به، ويعاملونه بوصفه عبداً أدنى درجة منهم.

وقد بين فيها الأديب صورة من أهم صور الصراع العنيف بين الإسلام والشرك، وبين الخير والشر، وكشف عن طبيعة العلاقات التي نسجتها عنجهية الجاهلية وفساد فكرها، وقدم صورة لإشراقة الإسلام وعدالته، وسموه وسماحته، تلك السماحة التي أنجت هؤلاء الطغاة من الدمار بدخولهم ساحة الإسلام، وبما من الله عليهم من هداية ورشاد. وكما أن الرواية اهتمت بتوضيح مفاهيم معينة لدى شخصياتها، فإنها ركزت على مشكلة العبودية، وقيمة الحرية، ومن خلال أحداث الرواية تتجلى صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب المؤمن وفي عين الكافر، وما كانت تنسجه العناية الإلهية لنصرة دينه ونبيه، ومقومات الشخصية الإسلامية وما تقوم عليه من طهر وعزيمة، واتساق، وتستمر الرواية في نقل الأحداث التي تصور الصراع بأشكاله المتعددة بين وحشي بن حرب الذي حللت الرواية شخصيته، والشخصيات الأخرى في الرواية.

التعريف بنجيب الكيلاني

ولد الدكتور نجيب عبد اللطيف إبراهيم الكيلاني في أول يونيو عام ١٩٣١م الموافق المحرم من عام ١٣٥٠هـ ولد في قرية شرشابة التابعة لمركز زفتى بمحافظة الغربية بمصر (يعقوب، ٢٠٠٤: ١٣٣٠) وكان أول مولود يولد لأبية وأمه، وعلى غرار عادة أهل الريف في هذا الوقت التحق نجيب الكيلاني بكُتَّاب القرية في سن الرابعة، حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب وقدراً من الأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الرسول وقصص الأنبياء وقصص القرآن، وكانت

www.SID.ir

Archive of SID

أسرته تعمل بالزراعة، وكان منذ صغره يمارس العمل مع أبناء الأسرة في الحقول (الكيلاني، ١٩٨٥، ج١: ٣٣-٣٤).

انضم نجيب الكيلاني لدعوة الإخوان في وقت مبكر من حياته حيث أثرت في أفكاره، ومعتقداته، وزودته بالكثير من المعارف، والعلوم الدينية، والدنيوية، وكان لها أبلغ الأثر في تكوين عقليته السياسية؛ حتى إنه تعرض للاعتقال أكثر من مرة، فبعد حادثة المنشية في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م اعتقل عبدالناصر كثير من الإخوان المسلمين وقدمهم للمحاكمة وحكم عليهم بأحكام متفاوتة، وترك أسرهم دون عائل فقام بعض الإخوة بجمع التبرعات من بعضهم وتقديمهم لأسر الإخوان المعتقلين في المحافظات ومساعدتهم في المعيشة فعلم نظام عبدالناصر بذلك فقام باعتقال كل من ساعد هذه الأسر وقدمهم للمحاكمة تحت مسمى تنظيم التمويل وكان نجيب الكيلاني أحد هؤلاء الذين أعتقلوا في يوم ٧ من شهر أغسطس ١٩٥٥م، حيث سيق إلى السجن الحربي وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة أعوام إلا أنه حصل على عفو صحي وخرج بعد أن قضى بالسجن ٤٠ شهرًا. (الكيلاني، ١٩٨٥، ج١: ٦٠). وتوفي نجيب في مدينة طنطا بمصر في الخامس من شوال سنة ١٤١٥هـ، الموافق السادس من مارس سنة ١٩٩٥ (مقري الإدريسي، ٢٠٠٠: ٥).

دراسة التراث في رواية "قاتل حمزة"

التراث التاريخي:

استثمار الحدث التاريخي:

تتعدد في هذه الرواية الأحداث والوقائع التاريخية فترتبط بالشخصيات التي سيجيء ذكرها في الصفحات التالية من دراستنا، منها الإشارة، في مطلع الرواية إلى غزوة "بدر": فهي (قريش) لم تنس يوم "بدر".. تلك المعركة الخالدة التي قتل المسلمون فيها عدداً كبيراً من رجالات مكة وأبطالها... وأسروا عددا آخر... (الكيلاني، ١٩٨٣: ٥).

في الرواية أيضا الإشارة إلى غزوات الرسول الأخرى منها: أحد وفشل المسلمين بسبب عصيان رماة المسلمين أمر نبيهم لجمع الغنائم (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٩)، استشهاد حمزة عم الرسول (الكيلاني، ١٩٨٣: ٣٦)، وغزوة الأحزاب (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٧٣) وصلح حديبية وإرسال الرسالة إلى قيصر وكسرى وغيرهما من الملوك والحكام (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٧٤) و"مؤته"

www.SID.ir

Archive of SID

(الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٠٧) وفتح مكة (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٣٠) والتصدي لمسيلمة الكذاب الذي ادعى أنه شريك محمد في الأمر (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٦٧) و...

كما نشاهد كل هذه الأمور تاريخية ترتبط بالإسلام. لماذا إذن الالتفات إلى التاريخ؟ هل هي رغبة في الهروب من أسر الواقع وإشكالاته، أم هو حنين إلى ماضٍ تليد يظل مفارقا وغريبا عن حاضر يغرق في الجاهلية والافتتان بثقافة غازية، أم هي استراتيجية واعية انطلق منها الكيلاني في سبيل كسر الحواجز بين الماضي عن الحاضر وجعلهما عنصرين يغذي كل منهما الآخر؟ أسئلة كثيرة تتناسل حين الحديث عن اهتمام الكيلاني بالتاريخ، وإعادة كتابته روائيا. نجيب الكيلاني، كسائر الرواد والمؤسسين، انطلق من خلال إحساسه بوطأة الواقع الذي يعيشه، هذا الواقع الذي تتجاذبه تيارات شتى، وتنمو فيه تقليعات غريبة، فمن داعية إلى القومية الجاهلية أو إلى الفرعونية، إلى داعية الليبرالية أو الاشتراكية وغيرها، وكلها تيارات تحاول أن تقرأ التاريخ وتعمل على بعثه وفق منظارها الأيديولوجي.

اعتماد الشخصية التاريخية:

«إن أهمية التوظيف الدلالي للتراث التاريخي لا تكمن فقط في وعي الكاتب باتاريخ ولكن يكمن باأساس في وعيه أيضا بالواقع المعيش، لأن ما يهم الكاتب في توظيفه للشخصية التاريخية أو للموقف التاريخي ليس الشخصية ولا التاريخَ الصحيح، ولكن دلالة الشخصية أو الموقف» (ميرزائي نيا، ١٤٣٦: ٦٧٢). لا توجد أحداث من دون شخصيات تقوم بها، وقد اهتمت الرواية العربية المعاصرة بالشخصيات التاريخية في سردها لأحداث التاريخ، وتعددت نماذج الشخصيات التاريخية تبعاً لتعدد الأحداث التاريخية الموظفة. وهناك حوادث ووقائع مختلفة في العالم المعاصر تشبه برواية "قاتل حمزة" والدراسة في شخصيات وحوادث الرواية ترينا هذه الحقيقة؛ مثلا:بطلان طريق الاستسلام أمام المستعمرين والمستكبرين بواسطة بلدان المنطقة كالمملكة السعودية العربية والإمارات المتحدة و... وهذه الحقائق المعاصرة يمكن تطبيقه بحوادث الرواية انطباقا واضحا.

أ) شخصية وحشي بن حرب

بطل هذه الرواية شخصية تاريخية واقعية هو وحشي بن حرب، العبد لدى إحدى أشهر الأسر القرشية في زمن الدعوة الإسلامية، وهو أنموذج يجسد الإيمان المزيف أن الحرية هي امتلاك القوة والمتعة، وهو في هذا كان ضحية لحالة الفراغ الروحي والانحراف عن الفطرة

www.SID.ir

Archive of SID

الإلهية، وضحية رمزية لجبروت السادة وطغيانهم على الضعفاء من الناس، الضعفاء الذين ألقت بهم حظوظهم وتقاليد وأعراف الإنسان الظالمة في محرقة العبودية الظالمة التي لا ترى في الرقيق إلا كائنات أقل إنسانية وأقرب إلى الحيوان منها إلى الإنسان، فسحقت أروحهم وشوهتها وشوهت معها المعنى الحقيقي للحرية.

وعندما ظهرت دعوة التوحيد والعبودية الحقة لله خالق الإنسان ومالكه نأى وحشي بنفسه عن نور الهداية، ورفض الإيمان بالرسالة التي أقرت المساواة بين الناس جميعا في الأصل الإنساني، وأنهم يحملون الروح نفسها التي نفخها الله في آدم أبي البشر، ظانا أن عبودية الله التي تحدث عنها الإسلام مثل عبوديته وأمثاله للسادة.

يصور الكيلاني في روايته وحشي كائنا كفر بكل المبادئ التي يمثلها السادة:

«اللعنة على كل شيء.. على كل القيم والمبادئ» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٦٩) و«ليس في الحياة حلال وحرام... الحياة هي القوة والمال...» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٧).

جهل وحشي أن الحرية ليست قضية فردية، وأنه لن يجد الحرية في مجتمع مكة المنحرف عن الفطرة الذي يقسم الناس إلى سادة لهم كل شيء، وعبيد ليس لهم شيء حتى الإقرار ببشريتهم، وظن أن السادة الذين لا يؤمنون بأنه إنسان أصلا سوف يعترفون بحريته، وأنه يمكن أن يكون مثلهم إن توفرت له الوسيلة قال جبير: وأراك أيضا جديرا بأن تنعم بالحرية.. أن تكون سيد نفسك يا وحشي.. عند ذاك تستطيع أن تعود إلى حبشة بلادك.. أو تنبقي حرا في مكة (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٠) ولذلك لم يمانع في أن يعقد صفقة مع مالكه تكون ثمنا لحريته يقتل فيها حمزة عم النبي -صلى الله عليه وسلم- ثأرا لمقتل أحد السادة الذين أذاقوا أمثال وحشي صنوف القهر والإذلال. «امتلأت عيناه بسائل لا يدري كنهه، أهي دموع الفرح؟ ثم عادت الحقيقة تملأ راسه وعالمه كله "لقد قتلت حمزة بن عبد المطلب" وصاح بأعلى صوته في هذيان محموم قتلته.. قتلته.. أين مولاي؟» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٣٤).

ومن يومها بدأت مأساة وحشي، مأساة ضياع الطريق إلى الحرية الحقة نتيجة الأوهام والتصورات الخاطئة، فحمزة ـ أنموذج المسلم ـ كان أقرب إليه من سيده الذي حرضه، فهو يمثل الدين الجديد الذي وجد فيه الأرقاء راحتهم وسلوتهم فيه، واعترافا بآدميتهم حتى كان بلال العبد السابق هو الإنسان الذي يصعد على ظهر الكعبة محاطا بالإجلال والاحترام ليؤذن للصلاة فيتقاطر المسلمون استجابة لصوته بخشوع وامتنان وطاعة «لكن السماء هي

www.SID.ir

Archive of SID

السماء.. وأحد ينتصب قبالتي شامخا دون أن يعنيه من أمري شيئا.. الوهاد والآكام لم تتغير .. كل شيء على حاله، إنني أصبحت حرا؛ لكنني لم ألمس بيدي شيئا بعد.. قلبي يدق في عنف وأنا غارق في طوفان من المشاعر الهادرة» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٣٥) وهكذا بعد ساعة أصبح حرا شعر وحشي بالترديد والاغتراب.

نجح وحشي في الحصول على حريته لكنه اكتشف أنها وهم كبير في مجتمع مكة الطبقي المتعفن، فلا السادة اقتنعوا به حرا يساويهم ولا هو عاش كالأحرار، فقد ظلت نفسه مغلولة بالعبودية لوهم القوة والمتعة «إنني حزين برغم الحرية.. أترى كان شعور "عنترة بن شداد" كشعوري الآن؟ لا لقد كان سعيدا» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٤٣) وفوجئ بحبيبته عبلة المسلمة سرا ترفض الزواج منه «قالت عبلة: لقد أصبحت أشعر أن هناك حاجزا ضخما يحول بيني وبينك... تمزقت بيننا أواصر الحب والآلام والعذاب.. إنني لا أثق في حب السادة» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٥٢). وفوجئ بسيده السابق يرفض أن يبيع له عبلة احتقارا له لأنه بطلبه شراء شيء من ضمن ممتلكاته قد تجاوز حده ونسي أنه كان عبدا عنده اشتراه بماله «قال جبير: إن وحشي قد أصابه الغرور ونسي آداب اللياقة لقد أصبح من العسير إصلاحه إلا بالسوط» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٠٢).

وتتصاعد أزمة وحشي في ظل حريته الموهومة وقلبه العبد للهوى والأوهام، وينسى أنه حر فيفشي بنذالة سر عبلة لسيدها الذي يجن بدوره ويهبها لوحشي بشرط تعذيبها وإذلالها فيقبل الشرط ويحاول استخدام سلطته الجديدة لينال قلب الفتاة التي ترفضه وترفض كل نعيم يلوح لها به لأنها وإن كانت رقيقا في الظاهر إلا أن قلبها قد تحرر بالإسلام فصارت حرة حقا، وظل وحشي الحر في نظرها عبدا لكفره وخساسته ووشايته ورضاه أن يقتل غيلة وغدرا حمزة عم النبي رغم أنه يقول إنه لا شأن له بالحرب بين محمد وقريش «الروح لا يملكها إلا خالقها يا وحشي... بل يملكها من اشتراك... "أكنت تؤمن بذلك وأنت عبد؟؟؟.." كنت.. كنت ...هذا لا يهم...إنني الآن سيد حر وأنت أمة...» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٤٨).

ما يلفت الأنظار في قصة وحشي بن حرب في هذه الرواية علاوة على طلبه الحرية هي الأحساس بالغربة والاغتراب بيحث وجوده وأفكاره من بداية القصة حتى قبل إسلامه كان مليئا بهذا الشعور. هو يحس بالاغتراب في جميع أنواعه منها الاغتراب الذاتي والاجتماعي والنفسي .يشعر وحشي بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية

www.SID.ir

Archive of SID

الحميمة والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانفصال بين أهدافه وبين قيم المجتمع ومعاييره فهو يحس بالغربة والاغتراب بعد أن نال على حريته «لم يتغير شيء ملموس» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٣٦) ولم يزل وحشي الوحيد القلق الذي يضنيه التفكير والعذاب «إن حصولي على الحرية في حد ذاته أمر يبدو هينا.. العالم كما هو... ونظرة الجميع إليَّ لم تغير كثيرا فهم ما زالوا ينطرون إليَّ من عل» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٤٢). وهو يحس بالحقارة حينما يقول سيده: «اصمت أيها الآبق... إن نفسك لن تتغير.. نفس عبد ذليل» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٤٧) وبعد أن صمم وحشي باشتراء عبلة همست عبلة في سخرية: "تشتريني؟؟" (الكيلاني، ١٩٨٣: ٥٢). وهكذا وبعد أن تركتها عبلة الشعاع الوحيد الباقي في ذلك العالم الأسود قد انظفأ « آه الوحدة تقتلني يا عبلتي القاسية وحريتي أصبحت مرة المذاق وحياتي بلا معنى» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٦١). وحشي الذي كان يفكر أنه ينال بالحرية بعد قتل حمزة صار حياته بلا معنى ومن ثم أخذ يفتش في ذاكرته يبحث عن شيء ينسيه.. الخمر وحدها لا تنسيه وفكر بوصال الرومية وجاءها في منتثف الليل ولكن فعلها فقط مسكن وقتي.

لم يسعد وحشي بحريته المزعومة، وظل مرعوبا من انتقام المسلمين منه، وعجز عن رؤية الحق الأبلج الذي جذب الضعفاء والعبيد من كل مكان للإيمان به، وعندما انتصر الإسلام حاول الهروب لولا أن هناك من أيقظه من أوهامه ودله على الطريق الصحيح لنيل الحرية الحقيقية فلحق شعاعها حتى وقف أمام النبي ليكتب شهادة حريته الحقيقية وينالها من نبي الحرية ومن يومها صار وحشي حرا حقيقيا، ظل المسلمون كلما رأوه يتذكرون فاجعة قتله لحمزة لكن إسلامه منحه حصانة الحر فالإسلام يجب ما قبله، وسمح له بأن يسهم في صناعة التاريخ في جهاده ضد مسيلمة الكذاب وفي فتوحات الشام. ويمكن المقارنة والمشابهة بين وحشي والمسلمين المعاصرين واليوم الكثير من البلدان العربية والمسلمة المعاصرة يبيعون أنفسهم للمستعمرين وصولا للسيادة ولكن النهاية تختلف عن هذا. علاوة على هذا يمكن انطباق ظهور المقاومة في ايران، لبنان، العراق، سوريا، فلسطين واليمن بحوادث الرواية وإثبات إصالة طريق الرسول في الرواية. إذن «لقد كانت عودة الشاعر العربي المعاصر إلى التراث عودة فنية لا تقوم على أساس المتابعة والتقليد ولا تدعوا إلى المقاطعة والإهمال وإنّما استثمر التراث في نتاجاته الأدبية والتي جمع فيها بين الأصالة والمعاصرة "ولجأ إلى استخدام الشخصيات التراثية كمعادل موضوعي لتجربته الذاتية حيث كان يتخذها قناعا يبث من خلاله خواطر وأفكاره» (عشري زايد، ١٩٩٧: ١٦).

www.SID.ir

Archive of SID

ب) شخصية الرسول ﷺ

الرسول ﷺ علاوة على كونه شخصية دينية هو شخصية تاريخية أيضا ونحن في هذا المجال ندرسه كشخصية تاريخية في هذه الرواية وفي التراث الديني نشير إلى الأحاديث النبوية وأقواله معترفة أنه شحصية دينية وتاريخية معا.

ومن خلال أحداث الرواية تتجلى صورة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب المؤمن وفي عين الكافر، وما كانت تنسجه العناية الإلهية لنصرة دينه ونبيه، ومقومات الشخصية الإسلامية وما تقوم عليه من طهر وعزيمة، واتساق. وأما عبلة فيرتقى بها الفكر ونور الإيمان إلى آفاق الطهر، فلم يعد يشغلها سوى الإيمان، حتى صارت ترى محمدا عليه السلام بأشعة الحقيقة والإيمان، التي لا تمنعها قيود ولا تحجبها سدود، وهو الفكر الذي أراد المؤلف التأكيد عليه من خلال وصفه. وصياغته، «فحين اجتمعت الإماء يتباحثن فيما بينهن، وقالت واحدة منهن: -من منكن رأت محمدا؟ ردت عبلة في فخر. -أنا!! -كيف رأيته؟؟ -رأيت رجلا على وجهه نور الصدق واليقين، وفي نظراته معنى التواضع والحياء...، ما سمع أحد كلامه إلا صدقه.. هكذا أظن.. يألفه الصغير والكبير، وينجذب إليه العدو والصديق...، لو سألني أحدا يوما أتوسم فيه أن يكون نبيا فيمن لقيت من الناس طول حياتي لما أخترت غيره» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٧٩). ويمتد الحديث بين الإماء، وعبلة تسكت مرة، وتأبى إلا أن تتكلم مرة أخرى، إذ قالت عندما تحدثت إحداهن بما يوحي أن محمدا ﷺ قاطع طريق: «يا غبيات، محمد ليس قاطع طريق، ولا ملكا طامعا يريد أن يستذل العباد، ويوسع رقعة مملكته» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٨٠). قالت إحداهن: - فماذا يكون إذن؟؟ قالت عبلة في إيجاز: - نبي.. - ماذا تعنين؟؟ - جاء يحمل لواء العدل والرحمة في ظل التوحيد لله (الكيلاني، ١٩٨٣: ٨١).

تصف عبلة محمدا خطابا لوحشي: «كلمات محمد يا وحشي تحمل السوى والعزاء للمحرومين ... ودينه يضم في مبادئه الخلاص.. ولو تحولت هذه المبادي إلى حقائق في هذه الأرض لعم السلام ونعم الناس بالسعادة» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٥٦). وهكذا نرى تصويرا رائعا لمحمد ودينه وقيمه على لسان عبلة وهي تصفه سلاما وسعادة للناس.

ومن جانب آخر سهيل التاجر الذي يتكلم وحشيا يصف ويخبر عن محمدا وقرآنه ونفوذه في البشرية: «الحقيقة يا وحشي أن الحياة في مكة تضطرم وأن أحداثا كبرى تلف الناس

www.SID.ir

Archive of SID

بعواصفها ومحمد لا شك أصبح ذا خطر كبير برغم هزيمته في معركة أحد... إن قرآنه كأنه السحر ومبادئه تتسل إلى النفوس وتحدث فيها أضخم الانقلابات» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٦٣). وهذا كله كان قبل ايمانه به ورغم هذا يصفه عظيما وذا خطر كبير.

في قسم آخر من الرواية سهيل التاجر هذا يشير إلى كلام الرسول واعتقاده: «هز سهيل رأسه قائلا: ومحمد يقول يا وحشي، الناس سواسية» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٠٩). سهيل يشبه كلام وحشي بكلام الرسول وهكذا يقوم بالمقارنة والمشابهة بين كلام وحشي والرسول ﷺ .

الكيلاني في هذه الرواية ومرة أخرى يصف الرسول على لسان إحدى الإما وهي تتكلم عن عطوفة النبي على العبيد والإماء ومعاملتهم كالإخوة ونيلهم بالحرية في النهاية: «قالت ثالثة: إن محمدا يعطف على العبيد والإماء ويوصي به خيرا ويأمر أتباعه أن يعاملوهم برفق ويطعمونهم مما يأكلون ويعاملونهم كإخوة..بل إن أغلب العبيد الذين آمنوا برسالته نالوا العتق ونعموا بالحرية» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٧٨).

وعبلة تلك الأمة تأمل في كلماته بسلطان كلمات محمد في النهاية: «إن أعداء محمد أشد رغبة في حفظ كلماته من أصحابه إنهم برغم عدائهم الشديد له يجدون في أنفسهم دافعا غريبا لا يقاوم في سماع كلماته والتقاطها من أي فم وكلمات محمد أيتها الصاحبات تفرض سلطانها على الناس» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٧٩).

من جانب آخر "وصال" تلك المرأة الغبية التي تعمل في تقديم المتعة للرجال تتكلم عن العدالة والأمن والرزق والحماية عن المظلومين عند الرسول ﷺ وتعتقد أنه لا يهتم بالأنساب ولا يجعلها أساسا للفضيلة: «لكن الذي أعرفه أن محمدا لا تفوته شاردة ولا واردة وأنه لا يظلم أحدا.. إنه يهب الأمن ويكفل الرزق ويحمي الضعيف ويشكم القوي ولا يجعل من الأحساب والأنساب أساس المفاضلة بين البشر".قال وحشي في شرود:أتعتقدين ذلك؟؟هذا ما سمعته عنه يا وحشي...والمؤمنون يعيشون في ظل هذه المعاني أو يحلم الإنسان بأكثر من ذلك؟» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٨٩). وهكذا تشير وصال إلى معتقدات المؤمنين ومن جرائه تصف شخصية الرسول ويبدو من كلام وصال أن هذه الأقول تنبعث من جوفها ولكنها ترتبطها بالمؤمنين.

ونتعرف في هذه الرواية على الشخصية المحورية الأخرى التي يهواها قلب وحشي، وهي شخصية خيالية لا وجود لها في التاريخ وهي الأمَة التي سماها عبلة تشبّهاً منه بعنترة بن

www.SID.ir

Archive of SID

شداد الذي كان عبداً وأعتقه سيده بعد اعترافه به ابناً له، كي ينقذ القبيلة من أعدائها وينتصر عليهم، وهذه الأَمَة أوعبلة وحشي تختلف عنه في التفكير والسلوك، وإن كانت تعلن عن حبها له، وتمنيها أن يكون شخصية هادئة وادعة، ولكنه يصر على التخبط، ويبين عن نفسه بطريقة مخيفة مدمرة، ويقول كلمات لا تفقه منها شيئاً.

الشخصيات التاريخية الفرعية

هناك شخصيات تاريخية أخرى في هذه الرواية؛ فنرى استعداد قريش بقيادة أبي سفيان ليوم "أُحُد" وحمزة بن عبدالمطلب وتتصدر هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان، من يرغّبون وحشياً بقتل حمزة وتعده بمكافآت جزيلة، فهي تريد الثأر لابنها وأخيها ووالدها وخالد بن الوليد ويأتي «سهيل» من الطائف، وهو عبد يعمل بالتجارة لزيارة صديقه وحشي في خضم حيرته وعذابه فيستعرض أمامه الدعوة وموقف العقل والحرية و«وصال» التي تعمل في تقديم المتعة للرجال و«أم رابحة» التي أسلمت سراً ويؤدي العباس عم النبي دوراً كبيراً في تثبيط همة قريش وجبير بن مطعم الذي يغري وحشيا ليقتل حمزة بن عبدالمطلب.

فالكيلاني مولع باستخدام أحداث التاريخ وتوظيف الصحيح منها، استشعارا بعظمة مسؤوليته تجاه رسم هذه الشخصيات تقدمة تشعر بالأهمية التاريخية للفنان، ودوره في عالمه الأدبي، ويلحظ ذلك المتمعن في جوانب الرواية، وحسبنا في ذلك أن نشير إلى رسمه للشخصيات النموذجية كما تقدمها الرواية التاريخية، بملامحها الدقيقة، في صورتها اللائقة المعبرة عن الحقيقة المستقاة من أشهر كتب التاريخ سلامة وأقربها إلى الصواب، فلقد أوحى وصف الأديب لجبير بما يعكس الشخصية ذات الهيبة والرهبة مخشية الجانب في كزازة وجبروت. وتتراءى المرأة في السرد تحمل ملامح النموذج التطبيقي، ومن ذلك: أنه صور المرأة ذات النقاء والصفاء مستقيمة الفكر متسقة مع داخلها، وحقيقة ذلك التاريخية يجليها وصفه لشخصية عبلة، وأما النموذج المطابق للتسلط، وقوة الشخصية، ذات الجرأة في إبداء الآراء في المواقف التاريخية، والتي تشارك الرجال في اتخاذ الرأي، في أشد المواقف، يدفعها حقدها وحسدها وشدة الغيظ الذي يدفع بها عندما تعبث بها الأهواء. هذا النموذج يتجلى في مواقف هند بنت عتبة، وأما ما قدمه الوصف في رسم الشخصية المضطربة التي تحركها الأنانية ويحجبها الجبن، ويحميها الرياء إلخ فإنه يتجلى في شخصية وحشي قبل إسلامه (داود، ١٤١٦: ١١٦).

www.SID.ir

Archive of SID

التراث الديني

ونرى بأن ظاهرة استخدام التراث الديني وشخصيات الموروث الديني في الأدب المعاصر شاعت من قبل في أي عصر من عصوره حتى أصبحت سمة من أبرز سمات هذا العصر. والمصادر التراثية الدينية التي استمدّ منها الشعراء العرب المعاصرون للشخصيات الدينية التي وظفوها، وأهمُّ هذه المصادر ـ بعد القرآن الكريم ـ قصص القرآن، وقصص الأنبياء، والكتاب المقدس وبعض كتب السير والأعلام والتراجم والطبقات وبعض كتب التصوف والتاريخ وتاريخ الأدب وغيرهما و كان هؤلاء الشعراء المعاصرون استمدوا من هذه المصادر كوسيلة للتحدّث عن الحقائق الدينية وشخصياته وأحداثه وعن الحياة وفلسفة الكون والوجود (كمال زكي، ١٩٩٧: ١٩٠) وإستخدام الشخصيات التراثية الدينية هي كمعادل موضوع للتجارب الذاتية للشعراء العرب المعاصرين.

وإلى جانب الشخصيات الدينية التي أشرنا سابقا، يحضر التراث الديني من خلال التماهي مع أسلوب القرآن أو الحديث أو الإشارة إليهما عبرأسلوب الاقتباس، مثل:

تجيب عبلة ردا على سؤال: «ولماذا لم تؤمني بدعوته؟ قالت: امرأة في قيود العبودية لا تملك شيئا... والناس يا أختاه على دين ملوكهم وإعجابي بمحمد لا يعني إيماني برسالته.. إنني أتكلم عن محمد الإنسان» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٧٩).

هذا النص موجود في كتب الحديث (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ج١٠٢: ٧) ولكن هل الحديث منقول عن المعصوم أم إنه مثل من الأمثال؟ هذا ما لم يتضح تماماً، والذي يغلب الظن، أن هذا الكلام من قبيل ضرب الأمثال، إلا إنه اكتسب سمة الحديث بسبب كثرة الاستعمال، كما ورد في كشف الغمة حين ذكر الحديث قوله: «كما ورد في الحديث والمثل» (الإربلي، ١٣٨١، ج٢: ٢١).

وعلى أي حال فإن هذا الكلام ـ سواء كان حديثاً أو مثلاً ـ فإنه ينسجم مع تعاليم القرآن، وليس له أي دلالة على الجبر، لأن هذه الشرائح تطيع الحكام باختيارها وبسبب الجهل وعدم المعرفة.

الكيلاني في قسم آخر من الرواية يكرر هذا الحديث الشريف على لسان وحشي نقلا عن الرسول ﷺ ووحشي هذا مراده تهييج وإثارة سيده جبير للحرب مع الرسول ﷺ قائلا: «أنت ترى ... محمد يقول لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ومحمد يا سيدي يعني ما يقول.. لم يعد هناك غير السيوف» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٠٠).

www.SID.ir

Archive of SID

سهيل التاجر في هذه الرواية يقول مخاطبا وحشيا: ومحمد يقول يا وحشي: «الناس سواسية كأسنان المشط ويقول: كلكم لآدم وآدم من تراب ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٠٩) وهذا الكلام يتناص مع الحديث النبوي الشريف ويقول صلى الله عليه وسلم: « الناس سواسية كأسنان المشط. ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى» (سيوطي، ج٦: ٩٨). وأيضا الاية الشريفة وقد بين الله ذلك هنا بقوله: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات/١٣).

عبلة تلك الفتاة المسلمة حينما تظهر إيمانها بالرسول تخاطب جبيرا وتقول: «والله يهدي من يشاء» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٣٤) وهذا الكلام يتناص مع الأية الشريفة التالية: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** (القصص/ ٥٦).

وأم رابح تلك المرأة التي أسلمت خفية ولجأت عبلة إليها تقول: «فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٧٠) وهذه العبارة مأخوذة من التراث الديني القرآني: ﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف/٦٤).

قال الصبي لأمه (أم رابح): «أجل يا أماه.. إنني أدرك كل شيء.. ولن أنطق بكلمة واحدة ولو فعلوا بي ما فعلوا بأصحاب الأخدود (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٧٠) وهذا الكلام من التراث القرآني: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** (البروج/١-١٠).

نجيب الكيلاني على لسان الرسول ﷺ يكرر هذه الآية الكريمة: «أما أهل مكة فقد جاؤوا إلى الرسول يعلنون رضائهم بما تم فيهتف الرسول بهم مرددا آية خالدة من آيات القرآن الكريم»: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٣٢) وهذه الآية منقولة بالضبط عن الآية الكريمة (الحجرات/١٣).

www.SID.ir

Archive of SID

احتضن سهيل التاجر وحشيا بعد إسلامه وقال في رفق: «أنت أخي... لا تخف... لقد جاء في كتاب الله ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٥٦). وهذه الآية اقتباس من الآية الكريمة التالية: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر/٥٣).

في محاورة بين جبير ووحشي بعد إسلامه وبعد أن الرسول قال لوحشي "غيب وجهك عني" سأل وحشي جبيرا عن هذا الجواب وقال له «أنت الذي أغريتني بقتل حمزة وأجاب جبير»: أجل... وليغفر الله لي ولك وصدق الله إذ يقول: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٦٣) وهذه الآية هي نفس الآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٤٨).

ويشير الكيلاني إلى آية الإكمال في الرواية:" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٦٦) وهذه العبارة تشير إلى الآية الكريمة في القرآن: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الْخِنْزِيرِ وما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ والْمُنْخَنِقَةُ والْمَوْقُوذَةُ والْمُتَرَدِّيَةُ والنَّطِيحَةُ وما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (مائدة/٣).

بعد أن مات الرسول ﷺ في هذه الرواية يستخدم الكيلاني الآية القرآنية على لسان أبي بكر الذي يقول بصوت يتخلله البكاء: «أيها الناس.. من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت!! ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (الكيلاني، ١٩٨٣: ١٦٥) والكلام هذا اقتباس تام عن الآية القرآنية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٤).

في القسم الأخير من الرواية وبعد بكاء وحشي لوفاة الرسول ﷺ قل سهيل التاجر له: «وأرض الله واسعة يا وحشي» (الكيلاني، ١٩٨٣: ٢٦٧) وهذا الكلام اقتباس من الآية القرآنية:

www.SID.ir

Archive of SID

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر/١٠).

إذن القرآن والسّنة من مصادر الاقتباس المهمّة وأكثرها ثراء، فاعتمدَ الكيلاني على القرآنِ في استقطابِ الألفاظِ، واستوحوا من معاني الآيات كثيرًا من مَعانيهم. يمكن أخذ الألفاظ كما هي لتكونَ إشارةً واضحةً إلى الآية القرآنية، أو يمكن استلهام الأفكارِ والمعاني من النّصِّ القرآني الّتي تُنشئُ علاقةً مَا بينها وبين بعضِ الآيات الأمر نفسه مع الحديث الشّريف، حيثُ يستوحي الأديب معنى الحديث الشّريف ويجعلهُ في سياق ادبي يخدمُ فكرتَه وغايتَه وغرضه.

www.SID.ir

Archive of SID

النتائج

- الكيلاني في هذه الرواية يصدر من خلال وعي تاريخي واضح؛ إذ يتمثل التاريخ لا في بعده الإخباري كما رواها أصحاب السير والمصنفات. بل يتجاوز ذلك استنطاق لحظات التاريخ ـ وهو هنا التاريخ الإسلامي ـ تلك اللحظات التي تظل مضيئة في ذاكرة الأمة ومن ثم نجده يعمل على عصرنة ذلك التاريخ، وجعله حاضرا في الذاكرة والمعاش،

- في رواية "قاتل حمزة" مزج نجيب الكيلاني بين الحدث التاريخي والجدل الإنساني الشهير حول معنى الحرية الحقيقية بلغة شاعرية راقية أنطق فيها أبطال الرواية بمأساة الإنسان وحيرته في كل عصر وزمان تجاه هذه القيمة الإنسانية العظيمة التي تاهت العقول البشرية وهي تبحث عن حقيقتها، فمرة تظنها في المال والزينة، وثانية في اللهو والمتع الحرام، وثالثة في القوة والسيطرة وامتلاك كل شيء، وأحيانا هي كل ما سبق لو تيسرت أسبابه، بينما هم في الحقيقة غارقون في العبودية وقيودها الظاهرة والخفية حتى قمة رؤوسهم. انحاز الكيلاني كمسلم إلى المعنى الحقيقي للحرية التي يجدها أساسا ومنطلقا في عبودية الله وحده، والتحرر من كل قيد بشري وهوى على القلب وحريته، ويصور الأديب وحشي حائرا لا هدف له بعد حريته سوى الاستمتاع بماديات الحياة الفانية، ولا يتركه يعبر عن نفسه، ولكن يستبق الإيحاء إلى التدخل لإعلان ذلك.

- الحرية والإغتراب مفهومان اساسيان في هذه الرواية؛ الحرية التي هي الحلقة المفقودة في العالم المعاصر والشعور بالاغتراب الذي شاع في العالم المعاصر ويستخدم الكيلاني شخصية وحشي ويصور الإنسان المعاصر حقيقتا.الإنسان المعاصر الذي يحس بالغربة والاغتراب وهو لا يدري أن العبودية هي علاج داءه وهكذا الكيلاني من وراء هذه الشخصية التاريخية يتكلم عن مصائب الإنسان المعاصر والتراث التاريخي في هذه الرواية اكثر استخداما بالنسبة للأنواع الأخرى.

- هذه الرواية تبين حياة المسلمين المعاصرين الذين يهتمون وينتبهون بالمرافقة مع المستعمرين والمستكبرين؛ في حين لا يرون في النهاية إلا الحقارة والذلالة واليوم الكثير من البلدان العربية والمسلمة المعاصرة يبيعون أنفسهم للمستعمرين وصولا للسيادة ولكن النهاية تختلف عن هذا.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأنباري، محمد بن القاسم (٢٠٠٣م). *المعلقات السبع*. الكويت.

٢. ابن إسحاق، محمّد بن إسحاق (١٩٧٦م). *المبتدأ والمبعث والمغازي (سيرة ابن إسحاق)*. الرّباط: معهد الدّراسات والأبحاث والتّعريب،

٣. ابن حمدون، أبو المعالي؛ بهاء الدّين، محمّد بن الحسن (١٩٩٦م). *التّذكرة الحمدونيّة*. بيروت: دار صادر.

٤. ابن منظور (٢٠٠٣م). *لسان العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. إربلي، علي بن عيسى (١٣٨١ هـ). *كشف الغمة في معرفة الأئمة*. ج ٢، تبريز: مكتبة بني هاشمي.

٦. بديع يعقوب، أميل (٢٠٠٤م). *معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة*. بيروت: دار صادر.

٧. جدعان، فهمي (١٩٨٥م). *نظرية التراث*. عمان: دار الشروق،

٨. حنفي، حسن (١٩٨١م). *التراث والتجديد*. بيروت: دار التنوير.

٩. داود، محمد علي (١٤١٦هـ). "دور السرد في ابناء الفني في رواية "قاتل حمزة". *مجلة الأدب السلامي*، السنة ٣، العدد ٩-١٠، صص١٠٩-١١٩.

١٠. رياض وتار، محمد (٢٠٠٢م). *توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

١١. سيوطي، عبدالرحمن (دون تا). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. ج ٦، بيروت: دار الفكر.

١٢. عابد الجابري، محمد (١٩٩١م). *التراث والحداثة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٣. عشري زايد، علي (١٩٩٧م). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٤. ـــــــــــــ (١٩٩٥م أ). "توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر". *مجلة فصول*، مجلد ١، عدد ١، صص٢٠٣- ٢٢٠.

١٥. ـــــــــــــ (١٩٩٥م ب). *عن بناء القصيدة العربية*. ط ٤، القاهرة: مكتبة الشباب.

١٦. الكيلاني، نجيب (١٩٨٣م). *قاتل حمزة*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٧. ـــــــــــــ (١٩٨٥م). *لمحات من سيرة حياتي*. ج ١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

www.SID.ir

Archive of SID

١٨. كمال زكي، أحمد (١٩٩٧م). *دراسات في النقد الأدبي*. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

١٩. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٤هـ). *بحار الأنوار*. ج ١٠٢، بيروت: مؤسسة الوفاء.

٢٠. مقري الإدريسي، ابو زيد (٢٠٠٠م). "نجيب الكيلاني سيرته بقلمه". *مجلة المشكاة*، عدد ٢٣، صص١٠-٢٣.

٢١. ميرزائي نيا، حسين؛ والآخرون (١٤٣٦هـ). "توظيف التاريخ في مسرحية تيمور لنك لعبد الفتاح قلعجي". *مجلة اللغة العربية وآدابها*، العدد ٤، صص٦٧١-٦٩٠.

www.SID.ir